جماليات التشكيل البياني في النص الشعري الأندلسي

Aesthetics of graphic formation in the Andalusian poetic text

م.د. ياسر فاضل مشرف

كلية الإمام الأعظم(رحمه الله) الجامعة

قسم اللغة العربية

M.D. Yasser Fadel Musharraf Professor of Andalusian literature at the Great Imam College (may God have mercy on him) University the department of Arabic language

الملخص

يعد النص الشعري جوهر العملية الإبداعية في النقد العربي أو الركيزة الأساس التي يؤسس عليها الناقد طروحاته النقدية، ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة للبحث عن جمالية التشكيل البياني في النص الشعري، وقد سلطنا الأضواء على مصطلحي الجمالية والتشكيل لما لهما من أهمية كبيرة ورواجاً واسعاً في الدراسات النقدية الحديثة، فضلا عما يشغله علم البيان من مكانة مهمه في إثراء النص الشعري .

ومن هنا تأتي أهمية الدراسة في البحث: عن منهج ورؤية واضحة يتعامل من خلالها الناقد في استقراء النص الشعري واستنباط دلالاته الفكرية، وبيان القصدية التي بُني النص من أجلها بعيدا عن الأهواء أو الطروحات المبنية على غير أسس علمية رصينة.

أما منهج الدراسة فقد إتكأ على ثلاثة محاور: أولها الصورة التشبيهية: وما لها من دور متميز في إثراء النص الشعري بجمالية التعبير، وروعة التصوير، فضلا عن الدلالات التي تمنحها للنص الشعري بعيداً عن التكلف والابتذال. ثانيها: الصورة الاستعارية: بعدّها واحدة من الركائز الأساسية في تشكيل النص الشعري، والتي تعمل على خرق المألوف في العلاقات اللغوية داخل النص الشعري مما تلقي بظلالها على القارئ في استثارته وتحفيز ذهنه ليتجاوز المعنى السطحي باحثاً عن المعنى العميق. ثالثها: الصورة الكنائية: ويتجلى في هذا المحور البحث عن الكناية وما تؤديه من دور متميز في إثراء النص الشعري بجمالية التعبير من خلال إعتمادها على الانحراف والعدول عن المألوف إلى ما هو غامض أو خفي، وبهذا الخفاء يكون النص الشعري محط اهتمام وإثارة للمتلقي. ثم ختمت الدراسة بثبت المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: جماليات.. التشكيل...البياني...النص...الأندلسي

Abstract

The poetic text is the essence of the creative process in Arabic criticism or the foundation upon which the critic bases his critical propositions. From this standpoint, this study came to search for the aesthetic of graphic formation in the poetic text. We have shed light on the terms aesthetic and formation because of their great importance and popularity in critical studies. Modern, as well as the science of rhetoric occupies an important position in enriching the poetic text.

Hence the importance of the study in the search for a clear approach and vision through which the critic deals with the extrapolation of the poetic text, deducing its intellectual connotations, and clarifying the intention for which the text was built, away from whims or propositions based on other than solid scientific foundations.

As for the study curriculum, it relied on three axes: the first of which is the simile image: and its distinguished role in enriching the poetic text with the beauty of expression and splendor of photography, as well as the indications it gives to the poetic text away from affectation and vulgarity. Second: the metaphorical image: after that it is one of the main pillars in the formation of the poetic text, which works to violate the usual in the linguistic relations within the poetic text, which casts a shadow on the reader in his excitement and stimulating his mind to go beyond the superficial meaning in search of the deep meaning. Third: the metaphorical image: In this axis, the search for metaphor and the distinguished role it plays in enriching the poetic text with the beauty of expression is evident through its reliance on deviation and turning away from the usual to what is vague or hidden. Then the study was concluded by establishing the sources and references.

keywords: Aesthetics.. shaping... graphic... text... Andalusian

المقدمة

إنَّ الشعر يقوم على بنيات لغوية وأسس بيانية وهذه البنيات والأسس تعين منتج النص في تكوين تشكيل نصي وخلق نماذج وأنساق شعرية تتجاوز المألوف وتثير المتلقي وفقاً لمعطيات التنظيم والتنسيق بين هذه البنيات والأسس .

ويُعدُّ مصطلح التشكيل من المصطلحات التي لقت قبولا في أوساط النقد الأدبي الحديث لما لهذا المصطلح من أهمية كبيرة في بيان عناصر النص وبنياته ومن ثم إنصهارها في بعضها البعض .

والقصد من هذا البحث إبراز جمالية التشكيل البياني في النص الشعري الأندلسي، والبحث عن جوانب الإبداع، والإبتكار، والجمال، والتناسق في النص، وتضمين الفن البلاغي بأسلوب سلس وواضح بعيدا عن التكلف .

وبعد الوقوف على بعض الدراسات التي تناولت قضية التشكيل آثرت البحث في موضوعي من خلال مدخل ميسر وثلاثة مباحث: تمثل المدخل في الحديث عن مفهوم الجمال بإيجاز، ومفهوم التشكيل لما للمصطلحين من أهمية في فتح آفاق الحديث عن الموضوع تحليلا وتقصيا وشرحا، أما المبحث الأول فخصص للبحث عن الصورة التشبيهية بعدها الركيزة الأساس في علم البيان والمبحث الثاني كان الحديث عن الصورة الاستعارية وجمالية تشكيلها في النص والمبحث الثالث تحدثنا عن دلالات الكناية في النص الشعري ثم خاتمة بأهم النتائج التي توصلنا لها.

المدخل:

يُعدُّ علم الجمال من العلوم التي نشأت في الأوساط الغربية بين الفلاسفة والمفكرين وعلماء النفس وعلَنا نبدأ بحديث اليونان عن هذا العلم، فقد تحدث سقراط عن الجمال في معرض المقارنة بين المعرفة واللذة، وقد رأى بوجود لذة خاصة وأخرى مشوبة، وجعل أفلاطون الجمال من مكونات الشيء الجميل بل من أساسياته وأن يكون هذا الشيء متوازنا موحدا منسجما مع بعضه البعض وهذه القواعد الثلاث هي التي تحدد ماهية الجمال [١] في حين يرى تلميذه أرسطو بان الجمال هو وليد النظام والتناسق والتجدد[٢].

ولو انتقلنا من العالم الغربي إلى العالم العربي لوجدنا لمسات لطيفة لعلم الجمال منذ القدم، لعل من أهمها ما قاله التوحيدي عن الجمال بأنَّه ((كمال في الأعضاء، وتناسب بين الأجزاء مقبول عند النفس)).[٣] ووقف باحثون معاصرون على معان قريبة من رؤية التوحيدي، فرأى إبراهيم أنيس نواح عدة للجمال تكمن في الشعر منها ما

(١) ينظر : روز، غريب: النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ، دار الفكر اللبناني، بيروت ١٩٨٣م ،٧٨.
(٢) ينظر: إسماعيل، عز الدين، الأسس الجمالية في النقد العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة،١٩٩٢م، ٩٩.
(٣) أمين ، أحمد، الهوامل والشوامل، ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٥١م، ٧٨.

كان أسرع إلى النفوس لجمال ألفاظها وانسجاما في المقاطع لتواليها[١] ويقتفي هذا الأثر عز الدين إسماعيل ليقول: بأن الجمال يكمن في النظام والتناسق والانسجام[٢].

ومن خلال ما تقدم يمكن القول بأن الجمالية لها مشارب ومرجعيات متعددة فضلاً عن تعريفاتها الفلسفية والفكرية والاجتماعية والأدبية والذي يعنينا من هذا المصطلح الجمال الأدبي المرتبط بالأعمال الأدبية ومحاولة البحث الجادة في الوصول إلى الأنساق والأنسجة المترابطة بعضها ببعض في سياقها المناسب[٣]، فضلاً عن كونها أصبحت منهجاً لدراسة الإبداع الفني الذي يكمن فيه تطابق الرؤية التشكيلية للنص مع احساسه بالعمل الفني.[٤]

أما مصطلح التشكيل فسنلقي عليه نظرة لغوية مختصرة فجذره اللغوي (شَكَلَ :َتشكِيل) وهو معنى متصل بالجانب التصوري والتمثيلي (تشكل : تصور وتمثل)[٥] وذكر المصطلح في لسان العرب بمعنى الشبه والمثل ، والشاكلة: الناحية والطريقة وتشكل الشيء تصور وشكله صورة[٦].

ولو اقتفينا أثر هذا المصطلح في الدراسات النقدية القديمة لوجدنا جذوره متأصله في كتابات الجاحظ عند قوله ((والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، وإنَّما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ وسهولته ، وسهولة المخرج ، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج ، وجنس من التصوير))[٧] فأمَّا حديثه عن اختيار اللفظ وجودة السبك وقوة النسج والصورة إلا معايير يضعها الجاحظ لبيان جمالية تشكيل النص الشعري ، ثم جاء ابن قتيبة ليشكل امتدادا لرؤية الجاحظ ويضع معايير أربع تمثل تشكيل النص من حيث شكله ومضمونه [٨].

---

(١) ينظر: أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، مكتبة الإنجلو المصرية، ط٦، ١٩٨٨م، ٨.

(٢) ينظر: الأسس الجمالية في النقد العربي، ٨٥.

(٣) ينظر: هويدي، صالح، النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه ، منشورات جامعة السابع من ابريل،ليبيا،ط١، ١٤٢٦ه، ١٣٥

(٤) ينظر: العيد، يمني، الراوي، الموقع والشكل ، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت – لبنان ، ط١، ١٩٨٦م، ٩٠.

(٥) ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ) تحقيق: الدكتور إبراهيم المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، بيروت ، لبنان ط١، ١٩٨٨م، ٥/ ٢٩٥، لسان العرب ، أبن منظور (٧١١هـ) دار صادر، بيروت ،٢٠١١ م مادة شكل، المعجم الوسيط ، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وأشرف على طبعه عبدالسلام هارون ، دار إحياء التراث العربي بيروت (د.ت) : ٤٩٣

(٦) ينظر: أبن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م ،مادة (ش ك ل).

(٧) الجاحظ، ابو عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، شرح وتحقيق: الدكتور عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٩٦٥م، ٣/ ١٣١-١٣٢.

(٨)ينظر: ابن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم ، الشعر والشعراء، تصنيف ، حققه: د. مفيد قميحة والأستاذ محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ١/ ١٢-١٥.

أمَّا الجرجاني فيكاد يكون أول من وضع المعيار الحقيقي لمواطن جمالية تشكيل النص الشعري عند حديثة عن النظم والسوابق واللواحق فضلا عن السياق الذي ترد فيه [١].

ولو انتقلنا إلى النقاد المحدثين لوجدنا أن مصطلح التشكيل أصبح من المصطلحات الحديثة التي ظهرت بشكل ملحوظ في النقد الأدبي الحديث والذي اتسع مفهومه ليشمل مستويات عدة، متمثلة بالتشكيل البياني، والتشكل اللغوي، والتشكيل الموسيقي، وتجمع اللغة بين هذه التشكيلات الثلاثة فهي أداة التشكيل بين هذه العناصر الثلاثة وسيقتصر بحثنا هذا على التشكيل البياني ودوره في النص الشعري وما يؤديه من أهمية بالغة في شكل النص ومضمونه.

وتكمن أهمية التشكيل في كونه يمثل عملية إبداعية تقر بأن ((القصيدة ليست مجرد مجموعة من الخواطر أو الصور أو المعلومات ولكنها بناء متدامج الأجزاء، منظم تنظيما صارما))[٢] فالعلاقات والعلامات والتحولات تتراكم كلها في حقل التكوين الشعري للقصيدة وتنشئ نظامها الفني، وتؤلف نسيجها على النحو الذي تنتج فيه، ثم دمجها في سياق التشكيل، ومن هذا المنطلق وهذه الأهمية للتشكيل سنبحث عن أهمية البيان والبحث عن عناصره الأساسية والمتمثلة بالصورة البيانية والتي تُعدُّ ((من أهم أدوات التشكيل الشعري التي فتن بها علماء اللغة العربية قديما وصاغتها الدراسات اللسانية الحديثة في الاتجاه ذاته والتي تنم عن ذوق رفيع لشعراء القصيدة القديمة في تعاملهم مع هذه الألوان البيانية))[٣] والصورة بأبسط تعريفاتها المتداولة هي ((أثر الشاعر المفلَّق الذي يصف المرئيات وصفا يجعل قارئ شعره ما يدري أيقرأ قصيدة مسطورة أم يشاهد منظرا من مناظر الوجود، والذي يصف الوجدانيات وصفا يخيل للقارئ أنه يناجي نفسه ويحاور ضميره لا أنه يقرأ قطعة مختارة لشاعر مجيد))[٤] وسنقتفي أثر هذه الصورة في أنواعها الثلاثة المتمثلة بالصورة التشبيهية، والصورة الاستعارية، والصورة الكنائية، لنقف على الدور الذي تؤديه هذه الصور في تشكيل النص الشعري، وكيف تسهم في انتاج نص شعري له دلالات وإيحاءات منسقة ومنظمة تلقي بظلالها على المتلقي، وتنقله من عالم الملل والسأم إلى عالم المتعة واللذة المعرفية.

(١) ينظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز ، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر ط٥، ٢٠٠٤م، ٤٩-٥٠.
(٢) العذاري، ثائر، في تقنيات التشكيل الشعري واللغة الشعرية، رند للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،ط١، ٢٠١١م، ٤٢.
(٣) دخية، فاطمة، قراءة في جمالية الصورة الشعرية في القصيدة القديمة، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ٢٠١٠م، العدد ٦، ٥٩.
(٤) مبارك، زكي،الموازنة بين الشعراء ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١، ١٩٩٣م، ٦٣.

المبحث الأول: الصورة التشبيهية

تُعد الصورة البيانية عنصراً مهماً من العناصر التي يتشكل منها النص الشعريأ وهي رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس، والعاطفة، والشعور، المتدفق للشاعر، ووسيلة ينقل بها الكاتب أفكاره، ويصيغ بها خياله، فيما يصوغ من عبارات، وجمل؛ لأن الأسلوب مجال ظهور شخصية الكاتب، وفيه يتجلى، طابعه الخاص.[١]

والصورة التشبيهية واحدة من تلك الصور التي يلجأ إليها الشعراء في تشكيل نصوصهم الشعرية ويعد التشبيه من الفنون المتداولة الذي يقوم ((على علاقة مقارنة بين طرفين يجمعهما نوع أو درجة من درجات التشابه في الأحوال أو الصفات أو الهيئات، وقد تكون هذه المشابهة مشابهة حسية أو معنوية حقيقية أو متوهمة ...))[٢] .وتتفاوت جمالية تشكيل الصورة التشبيهية بحسب إمكانية الشاعر في توظيف مثل هذه الصور في سياقها المحدد والمناسب لها لتسهم إسهاما واضحا في تشكيل نصٍ شعريٍ تتكامل أجزاؤه في الشكل والمضمون.

ولو بحثنا في النص الشعري الأندلسي لوجدنا مثل هذه الصور، وأنماط تشكيلها في نصوص شعرية كثيرة امتازت بجودة التشكيل وجمالية التعبير، منها ما ذكر في قول ابن عبد ربه:

جار المشيب على رأسي فغيره لما رأى عندنا الحكام قد جاروا
كأنما جن ليل في مفارقه فاعتاقه من بياض الصبح أسفارا[٣]

فنجد جمالية تشكيل هذه الصورة التشبيهية التمثيلة في مبناها ومعناها والتي انتزعت من متعدد فضلا عن انسجامها في سياق يناسب نظمها، فصورة الشيب الذي حل برأسه وأحدث تغييرا جذريا ووقعا على نفسه هي صورة مماثلة لصورة الحاكم الظالم الذي ظلم رعيته وهذه الصورة بأكملها مشابهة للصورة التي يخيم فيها الظلام على النهار فيقتلعه ويذهب بنوره.

ونجد الصورة التشبيهية عند شاعر آخر متأصلة ومتجذرة في تشكيل نصه الشعري فهذا ابن خفاجة نجده عند وصفه لامرأة يتغزّل بها، تنطلق التشبيهات وتتوالى الصور والتعبيرات لتسهم في إثراء النص بهالة من الجمالية مزاوجاً بينها وبين الطبيعة والخمرة، لينتج لنا نصاً أدبياً تنحدر في شعابه روعة البيان وجمال الافتنان، وحسن الإتقان وتلك إحدى سمات تشكيل النص الشعري الأندلسي، إذ يقول:

غَزَالِيَّـــةُ الأَلحـاظِ، رِيمـيَّـــةُ الطّلى مُدَامِيَّـــةُ الألمـى، حبابيَّةُ الثّغْر[٤]

(١) ينظر: هلال، محمد غنيمي، الأدب المقارن ، القاهرة، مصر، ١٩٧٧م : ٢٧٩.
(٢) الدروبي، الفت كمال، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ط١، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣ م : ٢٠٨ .
(٣) ديوان ابن عبد ربه: ٩٠.
(٤) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تعليق : عبدالله سندة، دار المعرفة، بيروت، لبنان ، ط١، ٢٠٠٦م، ١٤٤

فقد شبه جمال لحظ عينيها بالغزال، وعذوبة ريقها بالخمر، أمّا بياض أسنانها، فهو كحباب الكأس، وما نجده في هذا البيت من تشبيه بليغ اذ أنه ترك ذكر الأداة ووجه الشبه ، مما جعله على درجة عالية من القوة الدلالية الموحية بجمالية التشكيل ودقة التعبير أو قوة الإتحاد بين الطرفين في كل منها .

وعند شاعر أندلسي آخر نجده ينوع في توظيف أداة التشبيه ويجعلها ركنا أساسياً من أركان تشكيل النص، فهذا ابن اللّبانة ينوع بين الأداتين (كأنّ) و (مثل) في قوله واصفاً روضة:

وَكَأَنَّ نَرْجِسَهَا أُصِيبَ بِرَوْعَتِي فَعَلاَهُ لَوْنٌ مِثْلَ لَوْنِي أَصْفَرُ
وَكَأَنَّمَا الرَّيْحَانُ رُوحِي كُلَّمَا تَتَغَيَّرُ الأَشْيَاءُ لاَ يَتَغَيَّرُ[1]

إذ عبَّر الشاعر عن مكنون انفعاله النفسي بوساطة التشبيه المرسل، حين شبه نرجسها بروعته واعتلاء الصفرة على النرجس، وتشبيه الريحان بروحه موظفا الأداة (كأنّ) في صدر البيتين الأول والثاني، و(مثل) في عجز البيت الأول، والتي نقل من خلالها التأثير النفسي والوجداني وما تركه المنظر في نفسية الشاعر.

أما ابن جابر الأندلسي(ت٧٨٠هـ) فوظف التشبيه الضمني، وجعله من الركائز الأساسية في إنتاج النص الشعري الهادف والموحي بجمالية التركيب وقصدية الغرض الذي نظم من أجله بعيداً عن التصنع والتكلف إذ يقول:

لا تعجبن للئيمٍ من ذوي كرمٍ قد يوجد الشوكُ في الزاكي من الشجرِ
وقد يكون كريمٌ من ذوي سفهٍ فالوردُ في الشوكِ يُبدي طيبَ الزهرِ[2]

فالصورة التشبيه الضمنية واضحة المعالم عندما تحدث عن وجود اللئيم في قومه الكرام كوجود الشوك في أزكى الشجر، ويعيد الصورة في البيت الثاني ليقول قد يوجد الكريم من بين قوم سفهاء كوجود الورد في بعض الأشواك وهاتان الصورتان وضعتا المتلقي أمام رؤية صورية واضحة المعالم، فالتشبيه بين اللئيم والشوك قريب فكلاهما مقيت وينبذه الناس وبين الكرم والورد الذي يحبذه الناس فكلاهما أعطى البيتين تجليات واضحة المعالم، وانسجام في النص واتساق في المعنى ليتشكل نص متكامل المبنى والمعنى.

وما ورد من تشبيهات في النصوص السابقة ما هي إلا إنعكاسا لانفعال الشاعر وتجربته الشعورية، تلك الصور التي قامت على ركائز ومقومات الخيال الذي غذاها وزادها جمالاً في التعبير ودقة في التصوير[3] فوجدنا الإنسجام بين الصور التشبيهية والسياق الذي وردت فيه مما أعطى النص الشعري جمالاً ورونقا في التشكيل ودقة في التعبير وبراعة في التصوير وإجادة في المعنى .

(١) شعر ابن اللبانة: ٦٥.
(٢) الأندلسي، ابن جابر، نظم العقدين في مدح سيد الكونين ، تحقيق: أحمد فوزي الهيب، دار سعد الدين ، ط١، ٢٠٠٥م، ٢١٨ .
(٣) العشماوي، محمد زكي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،١٩٨٤م، ٩٩.

المبحث الثاني: الصورة الاستعارية:

الاستعارة بأبسط أشكالها تعني استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة، والمعنى الذي نقلت إليه مع وجود قرينة مانعة للمعنى الأصلي.(١)

وقد برز التشكيل الاستعاري في النص الشعري الأندلسي وشغل مساحة واسعة من أشعارهم، والشيء الأهم في الاستعارة أنّه لا يمكن دراستها بشكل واضح وصريح بمعزل عن السياق لمعرفة ما إذا كانت هذه الصورة مبتكرة أم لا؟ فالنسق الاستعاري كما هو معروف ينهض على خرق المألوف في العلاقات اللغوية، فتعمل على استثارة القارئ وتحفيز ذهنه ليتجاوز المعنى السطحي إلى المعنى الإيحائي العميق، الذي لا يمكن للمتلقي الوصول إليه إلّا عبر القراءة المنتجة.(٢)

ومن جماليات التشكيل الاستعاري ما نجده في قول أبي إسحاق الألبيري:

تَفتُّ فُؤادَكَ الأيام فتًّا وتَنحِتُ جِسْمَكَ السَّاعاتُ نَحْتا
وتَدعُوكَ المُنونُ دُعاءَ صِدقٍ أَلا يا صاحِ: أَنتَ أُريدُ، أَنتا(٣)

فنجد شاعرنا الالبيري قد استعار من توقيتات الزمان (الأيام والساعات)، بذكره للفظتي التفتيت والنحتَ وكلاهما من الأعمال التي ينفذها الإنسان والتي هي من اختصاصه ، الذي يمثل في هذه الصورة المستعار منه، وقد حذف المستعار منه(الإنسان) وأبقيت القرائن الملفوظة التي نكتشفها من خلال سياق البيتين والمتمثلة بـلفظتي (التفتيت والنحت).

أمّا القرينة الجامعة بين المستعار (الزمن) والمستعار منه (الإنسان) فهي الانتهاء والانقضاء الذي لا بد من وقوعه.

وفي البيت الثاني نجد أنَّ الشاعر قد استعار(المنية) من أجل الإرشاد والنصح والوعظ والتذكير بدنو الأجل واقتراب الموت، من المستعار منه (الإنسان) وحذف المستعار منه وأبقيت إحدى لوازمه وهو النداء بتوظيف الياء فالمنون لا تنادى، وإنّما من ينادى هو الإنسان.

---

(١) علوان، محمد، من بلاغة القرآن الكريم ، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ٢١٤ وينظر: أبو موسى، محمد، التصوير البياني – دراسة تحليلية لمسائل البيان، منشورات جامعة قار يونس ، ليبيا ،ط١، ١٩٧٨ ٢١٥ ، عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها –علم البيان والبديع، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط١ ،١٩٨٧م، ١٥٨.

(٢) ينظر: قطوس، بسام، الاستعارة التنافرية في نماذج من الشعر العربي الحديث، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة، عمان، الأردن، مج (٩)، ع (١)، نيسان، ١٩٩٤م: ٤٠.

(٣) ديوان أبي إسحاق الألبيري ، ١٩ .

هاتان الاستعارتان المكنيتان لهما أثرٌ كبير في الكشف عن واقع الشاعر كونهما تمثلان انعكاساً لتلك الحياة القائمة على الزهد والورع والتقوى ، فجاءت الصورتان على أروع وأدق ما يكون من التناسب بينهما وبين واقع الشاعر الذي وجدنا صدى إيمانه في أشعاره واضحاً وجلياً.

ومن دقيق القول وجمال التشكيل وروعة التصوير الاستعاري ما نجده في قول ابن شرف القيرواني:

الناسُ اقواتٌ هذا الموتُ يأكُلهم جيلاً فجيلاً إلى أن لا ترى جيلا[1]

فتشكيل الصورة الاستعارية تكمن في استعارته صفة من صفات الإنسان واضفائها على الموت فجعل منه يقتات على الناس فذكر المشبه، وحذف المشبه به، وهو الإنسان، وأبقى على صفة واحدة من صفاته، وهي الأكل وجميلة تلك الصورة التي نظمت في سياق الوعظ والنصح والإرشاد، فتجلت جمالية التشكيل من خلال تناسب الصورة ودقة ألفاظها مع سياقها الذي ذكر آنفاً .

نجد التشكيل الاستعاري يتجسد بجمالياته الموحية ودلالاته المعبرة وأنماطه المتسقة في قول ابن حمديس:

يـــدُ الدهـــرِ جارحـــةٌ آســـية ودنيـــاكَ مُفنيـــةٌ فانيـــة
وربّـــكَ وارثُ أربابهـــا ومُحيِـــي عظامهـــمُ الباليـــة
رأيـــتُ الحِـــمامَ يبيـــدُ الأنـــام وَلدْغتـــه مـــا لهـــا راقيـــة[2]

في هذا النص نجد المجاز العقلي قد تشكل ملمحاً إبداعياً من خلال إسناد الأفعال (الحركات) إلى شيء معنوي وهو الدهر موظفاً فن التشخيص في هذه الصورة فقد جعل اليد التي هي من أعضاء الإنسان للدهر المعنوي وجعلها جارحة ومؤلمة واستعمال التجسيد أيضاً في إضفاء صفات حسية على الأشياء المعنوية في قوله: (رأيت الحمام) والموت لا يرى وإنما ترى الأثار التي يتركها الموت مشبه الموت بلدغة الأفعى التي يسري سمها ولا علاج للدغتها.

صفوة القول: إنّ النص الشعري الأندلسي يفيض بجملة من الاستعارات التي تبث الحياة في الأشياء، وتأخذ بيد المتلقي إلى عالم الجمال وعالم التحليل والتأويل حتى تصل به إلى قصدية منتج النص ومشاركته عالم الأحاسيس التي انتابته أثناء نظمه لتلك المشاعر والأحاسيس بعيدا عن التكلف والابتذال في صياغته.

(١) القيرواني، أبو عبدالله محمد بن شرف ، ديوان ابن شرف ، أبو عبدالله محمد بن شرف القيرواني، تحقيق: حسن ذكرى حسن، نشر المكتبات الأزهرية ، د.ط، القاهرة: ٨٣

(٢) ديوان ابن حمديس : ٥٢٢

المبحث الثالث: الكناية

تعد الكناية فناً من فنون البيان العربي الذي لا يقوى عليه إلا بليغ متمرس بفنون القول ويقصد بها ((لفظ أريد به لازم معناه ،مع جواز ارادة معناه حينئذ))،[١] الكناية من الأساليب البلاغية التي تثري النص بجمالية التعبير وفصاحة القول، وتطلق العنان لمتلقي النص للخوض في مكنونات تعبيرها ولغتها المليئة بالمعاني العميقة، وبالصور الخيالية المتميزة وعندئذ تكون مثاراً للتشويق وهي في أبسط اشكالها محاولة المتكلم ((إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومي به إليه ويجعله دليلا عليه))[٢] فالبحث عن المعنى التالي أو ردفه هو الأكثر دلالة على مراد المتكلم، ومن خلاله يمكن الحكم على الملكة الأدبية التي يتمتع بها المتكلم فيكمن سر الأديب في الصياغة العميقة التي تمنح النص جمالا وبهاء ومتعة من قبل القارئ في البحث عن هذا الدر المكنون ومحاولة إخراجه.

وللكناية أثر كبير وواسع في تشكيل النص الشعري وإضفاء الجمالية التعبيرية عليه من خلال اعتمادها الإنحراف والعدول عن المألوف إلى ما هو غامض أو خفي، وهناك من أوجزها بالقول بأنَّها((العدول عن لفظ إلى آخر دال عليه، وهذا العدول عنه لا يعني ستره وإخفاءه ، كما لا يعني إيراده وإظهاره ، وإنما هو مجرد تركه ، والإعراض عنه لا أكثر فالمكنى عنه ليس بالواضح وضوح مذكور صراحة، ولا هو بالخفي الذي لا تكاد تتبينه إلا بالتدقيق وإمعان نظر ، فهو أشبه ما يكون بالمكسو بثوب رقيق شفاف ، ولا هو مستور ستر المورّى عنه))[٣] وبهذا يكون التشكيل الشعري للنص محط إثارة واهتمام للمتلقي،[٤] ومن هذا المنطلق فإنَّ البحث عن جماليات التشكيل البلاغي تتحتم علينا البحث والكشف عن العلاقة بين الدال والمدلول فضلاً عن السياق الذي وردت فيه ومن جميل الكنايات التي كان لها إسهامها واضحا في بناء النص الشعري الأندلسي ما نجده في قول أبي اسحاق الالبيري :

وإن فرقتها وخرجت منها إلى دار السلام فقد سلمتا[٥]

فالكناية تكمن في قوله دار السلام وهي كناية عن الجنة التي أراد ذكرها ووصفها وبيان منزلتها فعدل من لفظة الجنة إلى لفظة دار السلام لتناسب السياق الذي وردت فيه فهي السلام والأمان والنجاة من النار وهذه المعاني والألفاظ عدل عنها بلفظة واحدة هي لفظة السلام.

---

(١) القزويني، أبو عبدالله زكريا بن محمد بن محمود ،الإيضاح في علوم البلاغة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط٤، ١٩٧٥م، ٤٥٦.
(٢) دلائل الإعجاز، ٦٦
(٣) فياض، محمد جابر، الكناية، ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣٧، ج ١، بغداد،١٩٨٦م، ٩٧.
(٤) ينظر: ياسين، وسن عبد المنعم، خصائص الإسلوب في شعر البحتري، منشورات المجمع العلمي ، ٢٠١١ م، ٣٤٥ .
(٥) ديوان الألبيري ،٣٥

ويوظف ابن خفاجة الكناية بشكل أكثر دقة وعمقا وجمالية وروعة بيان أسهمت في إثراء النص من خلال قوله:

كلّما مرَّ قاصراً من خُطاهُ يتهادى كما يَمُرُّ الغمامُ
سلّم الغصنُ والكثيبُ علينا فعلى الغُصنِ والكثيبِ السلامُ[1]

فتتجلى وتتضح الصورة الكنائية عن محبوبته التي كنى عنها بالغصن والكثيب وما لهذه الكناية من إرتباط موصول ووثيق بالمحبوبة فالغصن يتهادى في ميلانه وكذلك الحال بمحبوبته التي خفت الخطى وتمايلت وانثنت بجمالها عليه.

ونجد في بيت آخر يصف حال محبوبته التي ألمَّ بها التعب واضنتها نار الحب والهبتها الأحاسيس قائلاً:

والشمسُ تجنحُ للغروبِ مريضةً والرعدُ يرقي والغمامةُ تنفثُ[2]

فنجد الشاعر قد كنى عن محبوبته بالشمس المريضة التي مالت للغروب وأخفق نورها وأخذ الرعد يرقيها والغمام ينفث عليها فقد عبر الشاعر من خلال هذه الكناية ما تجود به نفسه يعينه على هذا الأمر خياله الواسع فضلاً عن البنى المتجاورة لهذه الكناية والتي اجتمعت في تشكيل الصورة في أبهى حلتها وهي من الصور الكنائية التقليدية التي وردت كثيراً في أشعار العرب .

صفوة القول: إنَّ شعراء الأندلس قد نظموا كثيراً من الصورة الكنائية التي تكشف لنا عن الصفات التي عشقها أصحاب الذوق الرفيع ومالوا إليها، فضلاً عن براعتهم في توظيف هذا الفن البلاغي في سياقات مألوفة وبنيات متسقة ومنسجمة أظهرت لنا براعة الشاعر الأندلسي وقدرته في تشكيل النص الشعري .

وفي نهاية هذا البحث يمكن الوصول إلى أهم النتائج وهي على النحو الآتي :

- يُعدُّ مصطلحي الجمال والتشكيل من المصلحات التي لاقت قبولاً في أوساط النقد الأدبي الحديث لما لهذين المصطلحين من أهمية كبيرة في بيان عناصر النص وبنياته ومن ثم إنصهارها في بعضها البعض.
- حفل النص الشعري الأندلسي بروائع التشكيل البياني وكانت الصورة التشبيهية قد جسدت طلائع جماليات هذا التشكيل عبر صور حية موحية بدقة التعبير وبلاغة التصوير.
- جسدت الصورة الاستعارية في النص الشعري الاندلسي لوناً من ألوان التصوير المعجز لما حملته من طاقة تعبيرية وقدرة تصويرية تحمل أكثر من دلالة.
- كان للكناية حضوراً واسعاً في النص الشعري تمثل في براعة الرمز ودقة الإيحاء وبلاغة الإيجاز لتثري النص بهالة من الدلالات المتعدة والموحية بجمالية النص المنتج.

(١) ديوان ابن خفاجة ،٢٦٤
(٢) المصدر نفسه، ٧١

المصادر والمراجع

- إسماعيل، د. عز الدين، الأسس الجمالية في النقد العربي ، ، دار الفكر العربي ، القاهرة،١٩٩٢م.
- الألبيري، أبو إسحاق، ديوان أبي إسحاق الألبيري الأندلسي (ت ٤٦٠ هـ) ،حققه وقدم له: د . محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٧٦ م .
- أمين، احمد، والسيد أحمد سقر، الهوامل والشوامل ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٥١م
- الأندلسي، ابن جابر، نظم العقدين في مدح سيد الكونين، لابن جابر الأندلسي، تحقيق: أحمد فوزي الهيب، دار سعد الدين ، ط١، ٢٠٠٥م.
- أنيس، إبراهيم موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٦، ١٩٨٨م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، كتاب الحيوان، ، شرح وتحقيق: الدكتور عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٩٦٥م.
- الجرجاني ، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر ط٥، ٢٠٠٤م.
- ابن حمديس، ديوان ابن حمديس (ت ٥٢٧ هـ)، صححه وقدم له، د . إحسان عباس، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠ م .
- ابن خفاجة، ـديوان ابن خفاجة (ت ٥٣٣ هـ)، تحقيق : عبد الله سنده، دار المعرفة، بيروت ، لبنان،ط١، ٢٠٠٦ م .
- الداني، ابن اللبانة، ديوان ابن اللبانة الداني (ت ٥٠٧ هـ)، جمع وتحقيق: د . محمد مجيد السعيد، منشورات جامعة البصرة، ١٩٧٧ م .
- الدروبي، الفت كمال، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين، ، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٣ م .
- روز، غريب، النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، غريب روز ، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٨٣م.
- عباس ، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١ ،١٩٨٧م.
- أبن عبد ربه ، ديوان أبن عبد ربه ، حققه وجمعه وشرحه : د. محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩م .
- العذاري ، ثائر، في تقنيات التشكيل الشعري واللغة الشعرية، رند للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ٢٠١١م.
- العشماوي محمد زكي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،

بيروت،١٩٨٤م.

- علوان، محمد ،من بلاغة القرآن الكريم، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة،ط١، ١٩٩٨م.
- العيد، يمني، الراوي، الموقع والشكل، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت – لبنان ، ط١، ١٩٨٦م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (١٧٥هـ) كتاب العين ، ، تحقيق: الدكتور إبراهيم المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٨٨م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ، حققه: د. مفيد قميحة والأستاذ محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.
- القزويني، أبو عبدالله زكريا بن محمد بن محمود الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة ، ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط٤، ١٩٧٥م.
- القيرواني، أبو عبدالله محمد بن شرف ، ديوان أبن شرف ، تحقيق: حسن ذكرى حسن، نشر المكتبات الازهرية، القاهرة،(د.ط).
- مبارك ، زكي، الموازنة بين الشعراء، دار الجيل ، بيروت ، ط ١، ١٩٩٣م.
- مصطفى، إبراهيم وأحمد حسن الزيات وأشرف على طبعه عبدالسلام هارون ، المعجم الوسيط ، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت) .
- ابن منظور، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ،٢٠١١ م.
- أبو موسى، محمد ، التصوير البياني – دراسة تحليلية لمسائل البيان، ، ، منشورات جامعة قار يونس ، ليبيا ،ط١، ١٩٧٨ م.
- هلال ، محمد غنيمي ،الأدب المقارن ، القاهرة، مصر، ١٩٧٧م .
- هويدي، صالح، النقد الأدبي الحديث قضاياه ومناهجه، صالح هويدي، منشورات جامعة السابع من ابريل، ليبيا، ط١، ١٤٢٦هـ.

المجلات والدوريات:

- دخية، فاطمة، قراءة في جمالية الصورة الشعرية في القصيدة القديمة ، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة ٢٠١٠.
- فياض، محمد جابر، الكناية ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣٧، ج ١، بغداد،١٩٨٦م.
- قطوس، بسام ، وموسى ربايعة، الاستعارة التنافرية في نماذج من الشعر العربي الحديث، ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة، عمان، الأردن، مج (٩)، ع (١)، نيسان، ١٩٩٤م.
- ياسين ،وسن عبد المنعم، خصائص الأسلوب في شعر البحتري ، منشورات المجمع العلمي ، ٢٠١١ م.